أولا: الدراسات الأدبية

النص الحواري في القرآن الكريم

(دراسة أدبية)

د. سمية عثمان أبوزيد

جامعة الباحة كلية العلوم والآداب بالمخواة

قسم اللغة العربية

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الحوار الذي استخدمه القرآن الكريم أداة لمحاورة ومناقشة عقول البشرية فيما يدعوها فيه، حينما توالى إرسال الرسل للبشرية، لتوالي ظهور صور الفساد في العقائد الباطلة التي جاء موقف القران الكريم منها موقفاً اصلاحياً، عن طريق إرسال الرسل لمحاربتها، فاستخدم الأدلة، والبراهين، والحجج عبر حوار الرسل مع أقوامهم لبيان ما يدعو اليه الرسول، وليس ذلك للغلبة بل؛ لبيان الحق والدعوة اليه وإقناع الأخر، مستخدما في ذلك فقه الجدل، والحجاج في الحوار وكلها مفاهيم تنصب في مفهوم الطريقة التي استخدمها الحوار القرآني لإقناع الطرف الأخر. والحوار في القرآن لا يستخدم أساليب الإثارة والتشويق كمسوغ فني لإقامة الحوار؛ بل يستند على علم فيما يدعو إليه، وعلى أدلة وبراهين تبين صدق ما يدعو إليه، ورغم ذلك جاء النص الحواري مشتملا على أساليب فنية للنص الحواري أدارها النص بحسب ما يقتضيه الحال، كما جاء النص مشتملا على مقومات تصوير فنية جمالية يشهد بها المقام الحواري، فتعددت طرائقه الفنية التي تقوم بها هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية: الحوار. الجدل. الإقناع. الحجاج. الأسلوب. الصورة الفنية

Abstract;

This study deals with the dialogue that the Holy Qur'an used as a tool for dialogue and discussion with the minds of humanity regarding what it calls upon them to do. Messengers continued to be sent to humanity, for images of corruption continued to appear in false beliefs, regarding which the Holy Qur'an took a reformist stance, by sending messengers to fight it. So Holly Qur'an used evidences and

arguments through the messengers' dialogue with their people to explain what the messanger was calling for, and this was not for the sake of victory, but rather; to explain the truth, call for it, and convince others. In doing so, Holly Qur'an used the jurisprudence of controversy and argumentation in dialogue, all of which are concepts that focus on the concept of the method used by Quranic dialogue to persuade the other party.

Dialogue in the Qur'an does not use methods of excitement and suspense as an artistic justification for establishing dialogue. Rather, it is based on science and knowledge of what it calls for, and on evidence and proofs that show the truth of what it calls for. Dispite this, the dialouge included technical methods for the dialouge text that were managed by the text as required by the situation. The text also the dialogue text included elements of aesthetic artistic photography that the dialogue position attests to, so there are many artistic methods that this study is being carried out.

Key words / Dialouge, Discussion, Convince, Arguments, Method, Artistic

Method

مقدمة البحث:

القرآن الكريم لم يكن فقط مجرد مواعظ ترسل عبر آيات قرآنية، ولا تاريخ يُحكى عبر قصص الأنبياء للعبرة فقط؛ إنما هو كتاب ديني أخلاقي وإنساني، يدعو إلى العبادة والعمل، وفيه خطوط واضحة للكون منذ نشأته إلى فنائه، كما فيه خطوط واضحة لوحدانية الله، وقد فتح للعقل الإنساني المجال لينظر إلى القوانين العلمية والقضايا الفكرية والفلسفية، والإنسانية وإلى العقائد

الفكرية التي تضمنت كثير من الجدل الذي تمثل في حوار القوم مع الرسل وحالهم بين مُنكر لوجود الله وناكر لمسألة البعث وبين مستنكر لترك موروثه الديني ودين آبائه وخائف ومتهيب من دخول الدين الجديد، وجعل الإنسان خليفة الله في الأرض ثم أرسل إليه الرسل لهدايته، وجعله مسؤولاً عن أفعاله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[١].

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان أساليب الحوار في القرآن الكريم والتي صورت صراع الرسل مع أقوامهم وبيان تلوُّنه بِسِمَة الجدل الذي يصف موقف القوم من الدين الجديد، وبيان بعض الجوانب الفنية المستخدمة في الحوار.

مشكلة البحث وأسئلته:

والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي، كيف خدم الحوار في القرآن الأنبياء والرسل في القيام بالعملية الإقناعية مع الأطراف المعاندة المتجادلة؟ وما هي الخصائص الأسلوبية للحوار في القرآن والتي اعتمد عليها حوار الرسل مع أقوامهم؟ وما هي المحاور والمجالات التي استند عليها الحوار في استخراج مضامين الأطراف المتجادلة؟ وكيف كشف الأسلوب الحواري ما يدور بداخل الشخصية المجادلة؟ وكيف استخدم الحوار أسلوب التصوير في جدال الرسل مع القوم؟

حدود الدراسة:

تتمثل في عينة خصبة من حوار بعض الأنبياء وهو حوار ينبع من سياق قصصي في سور قرآنية ثرة بعوامل فنية قصصية من مثل جدال موسى عليه السلام ونوح وإبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم مع أقوامهم، فكانت الموضوعات المختارة والتي تناولها الحوار وقد مثلت العقدة الفنية في القصة التي ورد فيها الحوار، وتجادل حولها الطرفان، هو الدعوة إلى الله، ومسألة إنكار البعث.

منهج الدراسة:

المنهج الأسلوبي والتحليلي الوصفي الذي يكشف الشخصية المتحاورة، ويرصد صور أساليب الجدال ومضامينه التي احتواها الحوار في القرآن الكريم.

هيكل البحث:

واقتضت طبيعة الموضوع أن تأتي خطة الدراسة في مدخل وثلاثة مباحث

مدخل: دور الحوار في القرآن الكريم

المبحث الأول: تعريف الحوار وبعض المصطلحات المتعلقة به

المبحث الثاني: الدراسة الأدبية تطبيق على سمات حوار الأنبياء في القصص القرآني

المبحث الثالث: الصورة الفنية في حوار القصة القرآنية

مدخل

دور الحوار في القرآن الكريم

يعتبر الحوار صورة من صور الخطاب التي لجأ إليها القرآن الكريم في تصوير الأسلوب الذي أوصل به الأنبياء رسالة ربهم عبر حوارهم مع أقوامهم وأسلوب مقابلة أقوامهم لهم بالرفض أو القبول. ويعتبر عنصر من العناصر الفنية للقصة وهو في القصة القرآنية لعب دورا فنيا في بناء وتماسك القصة. وأبرز دور قام به الحوار على لسان الرسل هو محاججة القوم المنكرين لتوحيد الله والبعث؛ لذلك استخدم الحوار كوسيلة من وسائل الإقناع والتأثير في محاججة الرسل لقومهم المنكرين.

وغاية الحوار القرآني القائم بين الرسل وأقوامهم هي محاولة إقناع. إذ يحمل في طياته المهمة التي من أجلها أرسل الله الرسل، وهي الدعوة إلى الله. لذا نجد الحوار في هذا المقام يتكئ على قاعدة إقناع يقوم بها المتكلم ــ وهو الرسول ــ ليقنع المخاطب ــ وهم قومه ــ بالفكرة التي يتضمنها خطابه، والمتكلم في هذا المقام لا يتكلم من منطلق هواه، ولا يلجأ إلى عملية تشويق وإثارة ليقنع المخاطب. بل يتكئ على حجج منطقية وأساليب مقنعة ليوجه رسالته المنوط بها إلى قومه.

وإذا لم يقتنع القوم بخطابه فهذا لا يعني وجود قصور في خطابه كما سيتبين لنا في دراستنا هذه؛ إذ أن القوم كانت تتملكهم غريزة التبعية، يرفضون الخروج عن دين آبائهم يقول تعالى حكاية عنهم: ﴿**قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[٢] وهذه الدراسة إنما جاءت لتبين قدر المستطاع أن حوار الرسل مع أقوامهم إنما كان فيه من الأساليب اللغوية الفنية والطرق الإقناعية ما يدعو إلى التسليم والإذعان لها؛ إلا أن القوم كانت لهم قلوب لا يعقلون بها: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٣]

واستراتيجية الإقناع إنما تندرج تحت استراتيجيات الخطاب الذي يكون مخططا له بصفة مستمرة؛ إذ يعمد المرسل في خطابه إلى توظيف استراتيجية مناسبة تعبر عن مقصده، وتحقق هدفه[٤].

ومن مسوغات استعمال استراتيجية الإقناع تلك النتائج التربوية الذي تحققه تلك الاستراتيجية في حقل الدعوة؛ وهذا هو المنشود في دعوة الأنبياء لأقوامهم، وهذا يقودهم إلى المسوغ الثاني، وهو تنامي الخطاب في حوارهم مع أقوامهم عن طريق استعمال الحجاج، فالأنبياء عندما يطالبون قومهم عبادة الله وترك ما هم عليه من عبادات باطلة، فإن مطالبتهم لا تكتسي صفة الإكراه، ولا تسلك مسلك القمع؛ إنما تتتبع في تحصيل غرضها، سبلا استدلالية متنوعة تجر القوم إلى الاقتناع برأي الرسل.[٥]

وهذا المسوغ يعطي الإقناع مكانته؛ إذ يجعل منه لب عملية الحجاج إذ نلمس أثره المستقبلي بعد التلفظ بالحوار لينتج عنه قرار المتلقي بممارسة عمل معين أو اتخاذ موقف من حوار المتكلم، سواء بالإقدام أو الإحجام ولقد حرص البيان القرآني في خطابه لمتلقيه على تعزيز دعوة الرسل بالحجج والبراهين التي طالما دفعت بهم إلى التسليم والإذعان والاقتناع بصدق الدعوة[٦]. والحوار القرآني في أغلبه يتكئ على خاصية الجدل التي قوَّمها القرآن ويتضح ذلك في جدال الملائكة مع الله تعالى في شأن خلافة الانسان للأرض[٧] وكذلك جدال ابليس في مسألة رفضه السجود لأدم[٨] ثم يتضح جليا في شان الدعوة الذي يمتلئ به حوار الرسل مع أقوامهم؛ ذلك ليعلمنا القرآن أن الجدل وسيلة من وسائل التفكر ليصل به إلى مرحلة الاقتناع فهذا يحرك ما بداخل الإنسان ليترجمه في شكل حوار يتطلع به الى كشف الحقيقة التي دعا إليها الله تعالى عبر رسله ليقوِّموا البشرية ويسمعوا منها ما ينطوي داخل ذاتهم، إلا أنهم للأسف لم يحسنوا استغلال قيمة الحوار، ولا الوقوف على القيم العقلية التي يحملها إليهم حوار الرسل بل عاندوا ما يستند إليه العقل من مفاهيم تدل على قيمة حوار الرسل وناقضوا قضية أن يتركوا ما وجدوا عليه آبائهم فخسروا بعد أن ظهر تمردهم في أسلوب حوارهم مع رسلهم بل حاولوا القضاء على القضية بقتل الأنبياء وإسكات صوتهم اعتمادا على قوتهم القبلية وضعف موقف الرسل الاجتماعي.

المبحث الأول:

تعريف الحوار وبعض المصطلحات المتعلقة به

الحوار لغة: من حَوْر بمعنى الرجوع عن الشيء وإلى الشيء. والمحاورة: المجاوبة ومراجعة المنطق في المخاطبة[٩]، وهو لا يعني التسلط والإكراه؛ بل يكتفي بالبيان والمنطق. واصطلاحا يعني "محادثة بين طرفين أو أكثر، تتضمن تبادلاً للآراء والأفكار، والمشاعر، وتستهدف تحقيق قدر أكبر من الفهم والتفاهم بين الأطراف المشاركة، لتحقيق أهداف معينة، يسعى المشاركون في الحوار إلى انجازها"[١٠]

والحجاج لغة: من "حاج" و"حاجج" يقول ابن منظور: "حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها ... والحجة الدليل والبرهان، وهو رجل محجاج أي جدل"[١١] وحد الجدل عند ابن منظور "مقابلة الحجة بالحجة"[١٢] يقول تعالى: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ**﴾[١٣] أي جادله قومه في مسألة التوحيد الذي يدعو إليه وناظروه[١٤]. أما الحجاج في الاصطلاح فقد جاء عند العرب القدماء مرادفا للجدل، بينما هو في الفلسفة اليونانية يعتبر قاسما مشتركا بين الخطابة والجدل، وعُد عند الباحثين الغربيين في العصر الحديث مبحثا فلسفيا ولغويا مستقلا عن صناعة الجدل وصناعة الخطابة[١٥]

والجدل لغة: "جَدَل الجيم والدال واللام أصلٌ واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام"[١٦]. "وجدلت الحبل، أي أحكمت فتله، وجدلت البناء أي أحكمته"[١٧]. ويقول تعالى: ﴿... **وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ...﴾[١٨]. والمجادلة: "هي المناظرة والمخاصمة"[١٩]. أما الجدل اصطلاحاً: فهو "طريقة في المناقشة والاستدلال"[٢٠]. أما طبيعة الجدل "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"[٢١]. ويهدف الجدل "إلى تحقيق الغلبة بالدليل والحجة في اتخاذ رأي ما وإسقاط بالرأي الآخر المخالف"[٢٢].

مما سبق يتضح أن الجدل حوار يقود إلى نقاش بين طرفين، يتصف بالصراع والمنازعة الكلامية؛ ليحقق الغلبة مستنداً على أدلة وحجج، ليدحض بها حجج الخصم، وتتوقف الغلبة على مدى فصاحة المحاجج وقوة الأدلة التي يقدمها.

أما مصطلح الجدل بالمفهوم الغربي، فقد عرفته المؤلفات والمعاجم الغربية بأنه البحث العلمي، وتبادل الكلام. كما عرفته بعضها بأنه فن التفكير والمناقشة بصورة صحيحة[٢٣].

ونظرا لاختلاف صورة وطبيعة الحوار في القرآن الكريم واختلاف طريقة استخدامه من نبي لأخر لاختلاف أقوامهم، رغم أن الموضوع الذي تناوله الحوار القصصي بين كل الأنبياء وأقوامهم كان مشتركا بينهم جميعا؛ ألا وهو الدعوة إلى الله، كان لابد لنا أن نقف على بعض المصطلحات التي ستواجهنا ضرورة الوقوف على معناها حين التعمق في التطبيق، وهي كما يلي:

الفرق بين الجدل والحوار:

عندما يحاول الإنسان أن يعبر عن آراء متعددة، أو مذاهب مختلفة، أو يحاول أن يدلي بأفكاره ويمنحها صفة الوضوح فإن هذا يسمى حوارا. أما إذا ما خاض صراعا ضد أفكار معينة، ومعارضين معينين؛ فإن الموقف حينئذ يتحول إلى جدال من أجل الغلبة والنصر على الخصم؛

وعليه فإن كلمة حوار أوسع مدلولا من كلمة جدل؛ ذلك لأن في الجدل يتضمن معنى الصراع بينما الحوار يتسع معناه لأكثر من ذلك[٢٤].

الفرق بين الجدل والمحاجَّة:

وعندما يأتي الخصم بأدلة لإثبات دعواه دون إلزام خصمه لإتباع منهجه؛ فإن ذلك يسمى محاجَّة. أما الجدل فهو أعمَّ من ذلك إذ أن كل متجادل من المتجادلين يحاول إبراز رأيه على أنه هو الأصح ويذهب إلى أبعد من ذلك بأن يرغم الطرف الآخر الالتزام برأيه، رغم أن الطرف الآخر لا يؤمن به[٢٥].

الفرق بين الجدل والمناظرة والمكابرة:

عرفنا سابقا أن الجدل الهدف منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال. أما المناظرة فالهدف منها أن يصل المتناقشان إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفا فيه، بينما المكابرة فالهدف منها ذاتي الغرض منها حب الشهرة واللجاجة؛ فحينما يستمر أحد الأطراف في لجاجته، بالرغم من غلبة خصمه عليه بالأدلة الواضحة؛ لكنه يتمادى معتزا بإثمه فإن ذلك يسمى مكابرة.[٢٦] يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۙ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ ۚ....﴾[٢٧].

الفرق بين الجدل والخلاف:

الخلاف مجاله الفقه وأصوله، حيث به يعرف كيفية إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشبهة بإيراد الأدلة القطعية مثل ما نجده من خلاف بين أئمة المذاهب الأربعة الفقهية. أما الجدل فخص بالمقاصد الدينية كالمعرفة بأصول علم الكلام وعلم العقيدة وبعض المسائل العقدية من مثل صفات الله تعالى، وخلق القرآن.[٢٨]

هذا وعندما تنوع حوار الرسل والأنبياء مع أقوامهم بتنوع الفساد الذي ساد قوم بعينه عن غيره؛ تنوع الجدل وصوره التي جاء بها لكنها كلها تتمركز نحو مهمة واحدة وهي دعوة القوم إلى توحيد الله. ولما كان الأنبياء قد وقفوا أمام قومهم موقف المجادل الذي يقحم في جداله كل تيار باطل وعقيدة فاسدة يسير عليها القوم؛ لذا كان حوار الأنبياء مع أقوامهم يعتمد على تقديم الأدلة والبراهين، وكل سبل الاستدلال لطرح القضية التي جاءوا بها أولا ولجعل الخصم يسير وفق المنهج الرباني الذي من أجله أُرسلت الرسل، وهو هداية الناس لعبادة وتوحيد الله تعالى وفق منهج رباني؛ لكن السمة العامة التي يتسم بها هذا الحوار هي الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ**

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٢٩] وأن يكون العلم هو سلاح الجدال: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾**[٣٠] ويقول تعالى في شأن أهل الكتاب: **﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٣١].

المبحث الثاني:

الدراسة الأدبية تطبيق على سمات حوار الأنبياء في القصص القرآني

من سمات الحوار القرآني وخاصة حوار الأنبياء مع أقوامهم، أنه جاء لمعالجة أدواء القلوب وإصلاح المجتمعات الإنسانية عبر الشريعة السماوية التي ارتضاها لهم رب العالمين, مع بيان فساد العقائد الباطلة التي يستند عليها القوم؛ لذا اتسم حوار الأنبياء مع أقوامهم بعدة سمات استنادا لتعدد وتنوع صور الفساد حيث استخدم القرآن في جدال الرُسل مع أقوامهم كل ما من شأنه أن يأخذ بيد الخصم إلى الاقتناع بما جاءت به الرسل ومن ثم الهداية. ومن أبرز تلك السمات على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أولاً:

اتسم الحوار في أغلبه بالمرونة والحيوية؛ لأنه لا يخاطب العقل وحده بل يخاطب الإحساس والوجدان والعاطفة فهو يوظف العقل والعاطفة جنبا الى جنب لهداية الناس فما يلمس الوجدان يجد سبيله الى العقل حيث أن "الأسلوب المرن المتحرك في أكثر من اتجاه، المرتكز على العقل تارة وعلى العاطفة تارة أخرى، والحس من جهة ثالثة ليفتح لك المجال في فكرك وفي قلبك وفي وجدانك لتفكر وتناقش ولتشعر في كل باب تريد أن تلجه وفي أي هدف تعمل على الوصول إليه كل ذلك بمحبة موضوعية"[٣٢] ويظهر ذلك في حوار يلامس الوجدان ويسخّر أسلوبه لخدمة قضية تخدم موقف سيدنا نوح مع ابنه حين الطوفان، يقول تعالى: **﴿...وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ* قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾**[٣٣] حيث نلمس في الحوار صورة من صور الجدل المصحوب بالعناد والمكابرة رغم مخاطبته الوجدان قبل العقل. فالأبوة التي تنتبه إلى تفقد مكان الولد وتستيقظ حين الجميع يشل عقله رهابة الموقف وتنادي على الابن بصورة تكشف عاطفة الأبوة علّها تفيد نلمسها في عنصر التشديد في **"بُنَيَّ"** ليظهر عنصر التودد للابن واستخدام عنصر المعية **"ارْكَبْ مَعَنَا"** و **"وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ"** إنما يشرح لهفة الأبوة في تمني أن ينضم الابن الذي يجهل عواقب الأمور للركب ويكون معهم واستخدام

ياء النداء لابن هو في معزل وكأنّ اللحظة الحاسمة قد دنت حيث لا مجال إلا أن تكون مع الناجين فلا وقت للجدال الذي دعّمه عنصر التشويق في التصاعد الخطابي الذي يكمن في ردة فعل الابن الذي نتوقع دراميا أن يستجيب لكن يأتي رد الابن بعكس ما يتوقع الأب ونتوقع نحن القراء "**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ**" فمنطق الرفض لقبول طلب الأب يظهر في حواره حيث الجبل هو رمز الأمان لدى الابن، ومنطق الركون إلى قوته يجيب عليها كلمة "**سَآوِي**" فلم تنفع معه عاطفة الأبوة التي لامست الوجدان ولا رهابة الحدث المتوقع للكافرين حين جاء تركيز الخطاب في "**وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**" فيتبين لنا أن كل من الطرفين يحاول إقناع الآخر بصحة مقولته فعدم إيمان الابن بدين والده أعمى بصيرته عن الحقيقة القادمة وركن إلى قوته وإلى قوة الطبيعة "**الجبل**" لكن الأب يتبين في حواره لو أنه تمكن من أن يرغم ابنه على صحة ما يراه من منطق "**قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ**" وكون أن يقتنع الابن بمنطق أبيه كان فيه شيء من الاستحالة لما لوحظ من توتر الحوار بينهما فقد أنهى الحدث "**وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ**" هذا التوتر الحواري الذي اتسم بالجدل فكانت النهاية المتوقعة "**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**". فالحوار هنا نقل لنا الرسالة التي تضمنها الحوار فحين وصل رد الأب إلى ابنه بأن النجاة من الموقف تتم بمشيئة الله لم ينفعه ذلك الرد الذي يقبله العقل غير المكابر أو الذي يجحد الحقيقة التي تقبلها العقول النيرة.

ثانياً:

وأحيانا يأتي الحوار في القرآن متضمنا جدال يناسب حال الخصم وأوضاعهم مثل: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ* قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ* قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ* قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ* فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ* ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ* قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ* أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٣٤] فالحوار هنا نتصوره في إطار نفسي اجتماعي إذ أن إبراهيم عليه السلام يواجه عقيدة مجتمعية توارثها قومه من آبائهم فعمد إلى خلق حدث يؤثّر في وتيرة الحوار وتناميه عبر عمل ميداني قام به ليتخذه سبيلا لإقناع القوم وذلك؛ بتحطيمه لأصنام القوم. ومن ثم حرّك هذا الحدث الحوار في صورة تحقيق بعد أن بدأ الحوار بمشهد القوم وهم يتساءلون عن الفاعل الذي يهدد عقيدة مجتمع بأكمله ويأتي بحدث ما سبقه به من أحد "**قَالُوا**

مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ" ومن الملاحظ تكرار لفظة (قالوا) "قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ* قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ* قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ" إنما يعكس نفسية القوم وإجماعهم على عِظم الحدث وضرورة معاقبة مرتكبه بعد محاكمته أمام أعين الناس لأن الحدث جلل وهو في نظرهم خروج على قوانين المجتمع وأعرافه، لذا وصفو فاعله بالفتى إمعانا في تصوير جرم الحدث والفتى في نظر القوم شخص جاهل يتجرأ على عاداتهم وأعرافهم لحداثة سنّه وجهله لقيم المجتمع؛ لذا أرادوا محاورته أمام القوم ليشهدوا شهادته ويكون عبرة "**فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ**" فالحرص على تماسك المجتمع في أعرافه وتقاليده هو ما يشغل بال القوم، كما يتبين في حوارهم أنهم هم أهل السلطة في المجتمع وهم موضع القرار وهذا الفعل سيهدد مكانتهم في مجتمعهم. ولما توجهت أصابع الاتهام إلى إبراهيم عليه السلام سار الحوار في صورة تحقيق واستجواب "قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ" وإدارة الحوار في ثوب التحقيق هنا يكشف أن القوم بعد أن انكشف الجرم أمام الملأ صار لا يهمهم الحدث بقدر ما يهمهم الفاعل أمام أعين الناس بدليل قولهم "**أَأَنتَ**" يريدون منه الإقرار بنسبة الحدث إليه، وهذا يكشف لنا أن أهل السلطة فيما بين يهدد مكانتهم الحدث أكثر من المحدِث، وإذا ما واجهوا المجتمع يهدد مكانتهم الفاعل أكثر من الفعل. ثم أن الحوار الذي هو في صورة استجواب ينتقل بنا إلى عنصر التشويق لمعرفة الإجابة؛ إذ أن الموقف مشحون بأزمة نفسية ومجتمعية لكن عنصر المفاجئة ينقل الحوار إلى مجرى غير متوقع كما يساعد في إيصال المغذى من القصة نفسها "**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا**" ويزيد الأمر إمعانا في التأكيد استخدام اسم الإشارة "**هَٰذَا**" ثم جملة "**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**" التي وصلّت الرسالة المراد إيصالها عبر تحكيم العقل فهم قوم يبنون قيم العبودية على أنها إرث ابائهم ويحاول إبراهيم عليه السلام أن يخلصهم من هذا الإرث. كما أن المراد بإنكار إبراهيم عليه السلام أن يكون مرتكبا لهذه العملية هو إلزام القوم الحجة بأن الصنم لا يمكن أن يكون إلها ويجيبهم بأن كبيرهم هو الذي حطّم الأصنام "**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ**" إذ لو كانت آلهة لدافعت عن نفسها أو دافع عنها كبيرهم لذلك قال فسألوهم إن كانوا ينطقون وتكرار جملة ينطقون في الحوار "**فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**" و "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ" يزيد إمعانا في توصيل الرسالة إن كانوا يعقلون وأدخل القوم في حوار صامت بينهم وبين أنفسهم وهذا تعجيز عسى يقر القوم عبره بالحقيقة التي أوصلهم لها نبي الله ابراهيم عبر حواره في هذا المشهد العظيم "قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ".

ثالثاً:

ومن أنواع الحوار القرآني ما يتيح الفرصة للتفكير والمناقشة ولا يقحم الخصم. مثاله ما جاء في جدال ذبح البقرة ولنا أن نستشهد هنا حوار موسى عليه السلام مع فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ* قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ* قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[٣٥] ثم راح يستدل بأدلة على وجود الرب الذي يدعو إليه ليتيح الفرصة للطرف الأخر للتفكير فيما يقول ويطرح الأمر للنقاش: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ* كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[٣٦]، فالملاحظ أن المحتوى الأساسي للحوار يرتكز على إثبات وجود رب هو غير فرعون الذي يدعي الربوبية، لذلك بدأ الحوار بصيغة سؤال عن هذا الرب الذي يؤمن به موسى وأخوه فقط دون قومه لذلك نسب الرب إليهما حين قال "**رَبُّكُمَا**" فيأتي الجواب مركزا على المعنى العميق لمعنى الربوبية بحسب السؤال المطروح "**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**" فكانت الإجابة بإضافة لفظة الرب إلى موسى وأخيه "**قَالَ رَبُّنَا**" ثم تدرج الحوار من البعض إلى الكل فهو ربنا و رب كل شيء وفي إجابته يتضح معنى عميق عن هذا الرب الذي يختلف عن غيره وهذا فيه إشارة لطيفة في الرد لبيان الفرق بين ربه الذي يؤمن به وبين غيره ممن يدعون الربوبية إذ يتضح حسن صنع ربنا في أنه أعطى خلْقه كل شيء ثم أرشدهم إلى ما يصلحهم وهذا فيه جمال في أسلوب رد الجواب الموجَّه إلى فرعون بعبارات لبقة وواضحة يسهل فهمها ولا تحتاج إلى فلسفة ومنطق مع فرعون المجادل وفيه دعوة للتأمل الروحي والتفكير في شأن هذا الرب الذي أعطته عبارة "**أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ**" سمة الشمولية وسمة الإحاطة فهكذا يكون الرب بأبسط منطق يدل على القدرة الإلهية فيثير الحوار فكر فرعون نحو شأن السابقين في سؤال يدل على ما كان عليه المشهد الحواري بين أطراف الحوار فيتبن أنه مشهد يتسم بالمناقشة لطرح الفكرة وعرضها بأسلوب مبسط ليس فيه إقحام من موسى ولكن يتبين أن فيه إجحاد وعدم تسليم ومكابرة من فرعون. فيجيبه موسى عليه السلام "**قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**" فنسب العلم بها إلى الذي لا يضل ولا ينسى لتتسع مداركنا لعظمة القدرة الإلهية التي أحاطت بكل شيء حتى القرون الأولى يتضمنها هذا الشيء وهذا رد عميق من موسى لينبه فرعون أنهم يؤمنون برب له قدرة ومعرفة كاملة وكل شيء مكتوب في كتابه أي كأنه يقول له إنه يختلف

عنك لكن أسلوبه لم يكن مقحما بل فيه توجيه للتأمل حول قدرة هذا الرب مما فتح للحوار الفرصة بأن يتمدد ليفصل ما أجمل من قول في السابق "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ" فهو حوار ملهم يرشدنا للتأمل في ملكوت الله حيث الأرض والسماء والماء والأنعام وهي آيات لأولي النهى، وفي الحوار يتضح أن موسى عليه السلام كانت لديه من الأدلة ما يثبت بها وجود رب يؤمن به غير فرعون الذي يدعي الربوبية فاتسمت إجابته بالثقة وعدم الخوف من فرعون والأمانة والصدق التي يجب أن يتحراه الحوار في إسناد الربوبية لصاحبها الحق دون خوف من المواجهة التي كانت أكثر مقومات نجاحها أن استجاب الله لموسى طلبه في أن يرسل معه أخاه هارون[٣٧]، مما جعل الحوار يسير بترتيب منطقي وسلس للأفكار، وركز في إجابته بوصف النعم التي أنعم الله بها على البشر، ثم بيان أهمية استغلال هذه النعم بأكملها التي لم تُخلق عبثا فقد كانت دليل على رحمة هذا الخالق بخلقه وعظمة تدبيره لهذا الكون كونه ربا له دون غيره من الأرباب الذين يدعون الربوبية ولا يحسنون مثل هذا الصنيع في هذا الكون. ونحسب أن هذا الحوار قد يخلق لنفس القارئ حوار صامت بينه وبين نفسه ليرسم بخياله صورة لهذه النعم فيستجيب لحوار الفطرة الصامت الذي يهدي لوجود الرب.

رابعاً:

كذلك استخدم الحوار القرآني أسلوب الاستدراج وهو أسلوب بديعي بلاغي ساقه القرآن في حوار الرسل حينما يجادلون خصوما لهم سطوة وسلطة على الأنبياء؛ فيستخدمه الرسل لحماية أنفسهم أولا من سطوة الخصم الذي يجادلهم، ثم لمحاولة التأثير فيه واستمالته للاقتناع بما يدور حوله الحوار من مواضيع قبل أن يفاجئه بهذه المواضيع[٣٨] مثال ذلك ما جاء في حوار سيدنا إبراهيم مع أبيه يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾[٣٩] حيث لم يعرض إبراهيم عليه السلام الذي وصفه القرآن بأنه "صِدِّيقًا نَّبِيًّا" عبادة الله مباشرة على أبيه، فقد تدرج عبر محاولة كسب وده واستثارة مشاعر الأبوة فيه بتكرار "يَا أَبَتِ"، واستخدام نبرات الصوت التي تحمل

الدفء والتقدير، وفي ذلك يتكشف لنا قوة العلاقة وصدق الحوار الصادر من الابن وهو حوار مفعم بالأخلاق والقيم الروحية التي تظهر استقامة الابن ويعزز فيه التأثير العاطفي من أجل تأكيد دعوته ومن أجل التأثير على أبيه. ثم بيَّن لأبيه أنه يستند على علم "يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ" وذلك بكل تواضع أي أنه لا يأتي بحديث هراء مع إظهار عاطفة البنوة؛ والحوار هنا بقدر ما هو مؤثر من ابن تجاه أبيه في واقع القصة الحقيقي بقدر ما هو يثير فينا نحن القراء مشاعر الخوف والتوبيخ والتأمل، مما يعزز من تأثيرنا بقوة الرسالة وخدمة القصة هنا هي أنها تُقدَّم للعظة وذلك دأب القرآن في إيراد قصصه. ويتبين كذلك أن مفردات مشاعر الخوف التي أثارها حوار الابن في ختام حواره "يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا" يتوقع القارئ أن يسير الحوار متدرجا بعدها نحو الرضى والقبول من قِبل الأب، لكن يعلمنا القرآن أن أهل الباطل ممن كانوا أصحاب سلطة لا يستجيبون؛ بل يجادلون ويهددون بل ويرغمون الطرف الآخر أن يعدل عن منطقه إلى منطقهم "قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" حيث تظهر سلطة الأبوة على الأبناء ويُقَابل إبراهيم عليه السلام بالصد بل والزجر والتعنيف من منطلق هذه السلطة. وبهذا الموقف المعاند يوقع القاريء توجه الحوار لاتجاه آخر وينعكس سلبا بتصور العقاب الذي سيطاله لكن رغم ذلك لم تتغير مشاعر الابن البار بأبيه وهو يهدده مما يدل على صدق مشاعره قبل الدخول في التهديد: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٤٠]

كذلك كانت رد فعل سلطة فرعون التي واجهها موسى عليه السلام بعد أن قدّم له الأدلة على وجود الرب[٤١]، حين قال لموسى "فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ" وقد تمدد الحوار بين موسى وفرعون وهو يسأله عن القرون الأولى وموسى يجيب بأسلوب منطقي وسلس وفي نهاية المطاف يكون رد السلطة: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ* فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى* قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى* فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾[٤٢] حيث نلمس التوتر الحواري بتحدي فرعون لموسى عن طريق استعراض القُوى "فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ" مستخدما عنصري التشديد والتنوين الذي يظهر قوة فرعون وعزمه على التحدي وذلك عبر المواجهة و التوجيه المسرحي للأحداث مما يبرز قوة شخصيته ونفوذه السياسي كحاكم وكذلك يزيد من تأثير الحوار باستخدام لغة حوارية صارمة ومهدِدة في نفس الوقت فتنعكس النزعة الديكتاتورية والاستبدادية للحاكم ويثيرنا كقراء توجيه الاهتمام بالصراع بين القوتين، كما يتسبب الحوار في توليد عنصري التشويق والترقب،

حيث يتساءل القارئ عن مصير موسى وقومه وكيف سيتصرفون في مواجهة التهديدات القوية من فرعون وعندما يكون الانتصار من نصيب الفئة المستضعفة، يأتي تنفيذ السلطة رغم ظهور الحق بإيمان السحرة وانتصار موسى عليه السلام: ﴿قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾[٤٣]

خامساً:

يتميز حوار الرسل بتعدد أساليبه وطرق استدلالاته لاختلاف المواضيع من حيث طرق مسائل البعث أو الدعوة الى وحدانية الله منها قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ* أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾[٤٤] فنوح عليه السلام يدعو قومه لعبادة الله محذرا إياهم من عذاب يوم عظيم فيتهمونه بالضلالة فيسود الحوار جو من التوتر بسبب هذا الاتهام مما يستدعي نفي الضلالة عنه بأنه ناصح لهم لعلمه من الله ما لا يعلمون فيتجلى في الحوار الصراع بين الخير والشر ونلمس ردود فعل الملأ السلبية والمقاومة للحقيقة وهذا التباين يسلط الضوء على الشخصيات المختلفة المشاركة في الحوار ويعزز الصراع في حوار الرسول مع قومه. كما نجد نفس التعدد في أساليب الحوار عند هود عليه السلام مع قومه: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ* قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾[٤٥] فهو يتخذ التقوى مدخلا في حواره لدعوة قومه لعبادة الله، فيتهمونه بالسفاهة والكذب، فيتجلى التحدي في حوار هود مع القوم، فيواجه اتهاماتهم بصراحة وثبات فيرد عن نفسه التهمة "**أَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**" فهو أمين في حواره معهم ناصح لهم وقد تحمّل اتهاماتهم له؛ إذ أن قومه كانوا خلفاء لقوم نوح فعليهم أن يتقوا العذاب الذي حل بهم وأن الأمانة تقتضي منه أن يتحمّلهم ليذكرهم بذلك وبنعم الله عليهم عسى أن يفلحوا بالنجاة من عذاب الله إن أمنوا به: ﴿.... **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[٤٦] وهذا يعتبر من التفاني والإخلاص الذي أظهره الحوار. وفي حوار هود عليه السلام نلمس التوازن المثالي بين اللطف والحزم، حيث يظهر هود كشخصية طيبة وحنونة في نصائحه وتوجيهاته، لكنه في الوقت نفسه

يتحدى القوم بحزم وقوة في الدفاع عن رسالته وعن اتهامهم له. فالصراع الذي ولدّته المواجهة بين الخير والشر في مثل هذه القصص الواردة في القرآن، والتباين في التعبير بين الشخصيات، وشعور الرسل بالأسى من عدم استجابة القوم، هو ما جعل الحوار تتعدد أساليبه وطرق استدلالاته كما زادت قوته في بعض الأحوال وقد تكرر الأمر مع قوم ثمود ولوط وشعيب عليهم السلام كما ورد في سورة الأعراف. هذا وقد ابتعد الحوار في جدال الرسل مع أقوامهم عن التعصب والسخرية حيث ينتهي دائما بسلام.

سادساً:

وقد يأتي الحوار في صورة قياس بحيث يورد فيه استدلال بأمر لا ينكره العقل أو يدل على أمر بديهي يعرفه المخاطب: ﴿**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[٤٧] وهنا الحوار يرتكز على إبراز معنى الأمان ومصدره، فإبراهيم عليه السلام وقد هداه الله لمعرفة ربه بعد أن رأى كوكبا وأراد أن يتخذه رباً، فلما أفل قال لا أحب الأفلين وتدرج في قضية البحث عن ربه عندما رأى القمر ثم الكوكب فتبرأ قائلا: ﴿**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[٤٨] حيث تبرأ من شركهم وهو في هذا المقام الذي توصل إليه لا يقبل المحاججة بل يتعجب من محاججة قومه له بعد أن مرّ بتجربة الهداية فهذا حوار من يثق بالطريق الذي سلكه وأوصله للهداية وبالتالي فإن الخوف لا يعرف طريقه إلى قلبه بل المنطق والحكمة لا يقبل ذلك؛ لذلك جاءت تساؤلاته غرضها توجيه الناس للتفكير والتدبر إلى الحقيقة الكونية بحوار يحفز العقل ويثير التفكير مما يجعل مفردات حوارة غنية ومكثفة بالمعاني والفكر المتعمق ليوصلهم إلى قناعة أن الذي يستحق الأمان هو من هداه تفكيره إلى خالقه وليس في الشرك به عبر تقديم حجج واضحة ومقنعة فأدوات الاستفهام في الحوار قامت بتوجيه المغذى من الحوار الذي يدعو إلى التفكير والتدبر في معتقداتهم والمقارنة بينها وبين ما يدعوهم إليه بطريقة تحفز الفكر إلى السؤال بجوار من الأمان يكون؟ وبهذه الطريقة، تجلى الأسلوب الجمالي في حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه من خلال الثقة التي تمتع بها ونطقت بها مفردات حواره، والمنطق الذي هداه إلى ربه، والتوجيه الحكيم، والتذكير بالحقائق الدينية، مما يضفي على الحوار قوة وجاذبية تثير الاهتمام والتأمل. وباختصار، تميز الحوار هنا بالجمال الأسلوبي والفني

في بنائه الحكيم والمقنع، وفي توجيهه لرسالة الدعوة بطريقة تثير الفكر وتحفز على التأمل والتفكير المؤدي إلى الإيمان بالله.

ومن أساليب الحوار ما اتخذ سلوك النظر والتأمل في ملكوت الله أو التذكير بنعم الله وغيرها من سمات. ولا يسعنا المقام لذكر كل سمات الحوار في القرآن الكريم خاصة ما يتعلق بحوار الأنبياء إلا أن ما نود توثيقه في هذه الدراسة أن القوم كانوا يكابرون وينحون بالحوار في أنحاء عديدة وجوانب شتى قد تكون تعجيزية أحياناً ليكون التعجيز هو النتيجة التي يخرج بها الحوار معهم من مثل قولهم للرسل: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا* أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[٤٩] وبما أن الحوار كان يتكئ على مستوى عقولهم وإدراكهم كان رد الرسل رداً يجعل للحوار ثمرته بحيث لا يكون جدالاً وحجاجا لا يثمر شيئا: "قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولً". إلا أن المكابرة كانت سمة عليّة القوم الطاغين: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ﴾[٥٠] لكنهم يستيقظون مؤخرا ويصور القرآن حسرتهم على ما كانوا فيه من مكابرة: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ *فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ* فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ* وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥١] مكابرة في ترك دين أباءهم.

المبحث الثالث

الصورة الفنية في حوار القصة القرآنية

استخدم الحوار أسلوب التصوير في جدال الرسل مع القوم، وهو تصوير فني سلكه الحوار القصصي في القرآن مستخدما فيه بعض الأدوات مثل الألفاظ المعبرة والتعبير المصور والمشهد المحسوس من خلال التحاور لمجادلة الخصوم بغية استثارة الوجدان وتهيئة النفس للاقتناع عند محاورة الخصوم[٥٢]، "أما طريقته فكانت هي الطريقة العامة، طريقة التصوير والتشخيص والتجسيم ... كان هذا هو المنطق الوجداني الذي جاء به القرآن وناضل وكسب المعركة في النهاية ... فبلغ الغاية بمادته وطريقته، وجمع الغرض الفني والغرض الديني من أقرب طريق، ومن أرفع طريق. ثم سلك القرآن غير الصور النفسية والمعنوية، وغير القصص الكثيرة، وغيرها من مشاهد القيامة، وصور

النعيم والعذاب ... سلك غير هذا كله الجدل التصويري في المنطق الوجداني"[٥٣] ومن أمثلة ما جاء من تصوير فني في الحوار القرآني ما نلمسه في الموقف الذي أوحى فيه الله تعالى لأم مريم أن ترضع ابنها وهي تخشى أن تصيبه قوانين فرعون التي قضت بذبح الذكور حيث يصور لنا مقول الوحي مشاعر أم قلقة بشأن ابنها ولكن القلق لا يصرفها عن تنفيذ ما أوحى به الله لها يقول تعالى: ﴿**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٥٤] فكان أسلوب الحوار يعمل على تصوير الفطرة السليمة في قلب أم حديثة الولادة الفطرة التي تهديها إلى أن تقوم بالعملية الطبيعية في مثل هذا المقام وهو الإرضاع. لكن لما كانت الأم هنا خائفة فإن عملية إقناع أم خائفة حائرة لأن تمتثل لوحي الله يتطلب طمأنتها لتستجيب فالمشهد مشحون بالخوف فيجيء مقول الوحي الرباني **"أن أرضعيه"** مستخدماً أسلوب المصدر في الأمر الذي خرج عن صورته التي نعهدها، وهو ليس على وجه الاستعلاء، إنه أمر ملئ بالرفق على حال الأم القلقة الخائفة على مصير ابنها، فالأمر هنا يوحي بالاطمئنان أن الطفل لن يصيبه أذى في حال إرضاعه، فليس هناك هم سوى الرضاعة. ثم ينعطف الحوار إلى مخاطبة العقل مشترطاً تنفيذ الأمر بدخول الخوف إلى قلب الأم لتنصاع إلى الأمر الرباني **"فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي"** إذ لا مفر من ذلك لأن الخوف هو مصدر الأمان هنا وهو الذي دفع بتنفيذ الفعل الذي يستحيل أن تُخاطِب به قلب أم حديثة الولادة، إذ أن الخوف مصدره القلب والخوف هنا هو الشرط المنوط به فعل السبب لتقتنع أم موسى بالعناية الإلهية، فالنفس ضعيفة والأم خوفها أعظم والطفل بل الجنين لا حول له ولا قوة ولكن البحث عن أمان لمن لا حول له ولا قوة يسيطر على عقل الأم وما جلب لها الطمأنينة في تنفيذ الأمر هو الوعد الرباني المقدم في أسلوب يتضمن البُشرى المؤكدة بأدوات التأكيد والذي فيه نص الحوار مباشر وليس قول منقول عن الله أو حكاية لقوله تعالى **"إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"** فتتيقن أن اليمّ سيكون أكثر أمانا لطفلها من حضنها الذي يجد فيه طعامه وقد حُرمه فأسلوب الحوار هنا جاء وحيا ليبث الاطمئنان لأم لديها مولود حديث مهدد بالموت فتطيع أمر الوحي رغم مشاعر القلق التي انتابتها.

وقد تتعدد الصور والمشاهد بتعدد طرائق الحوار: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ* أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾[٥٥] حيث نلمس السخرية والتهكم في الصورة التي يظهرها مقول فرعون وهو ينادي وزيره ليبني له الصرح، والصورة

هذه إنما برزت من فرعون من منطلق السلطة التي يتمتع بها، وتبدو لنا السلطة هنا بوجه ساخر تستخف بعقول السامعين؛ إذ يطمح أن يصعد بواسطة وزيره وهنا نستشعر التناقض في تصوير قوة السلطة التي تدعي الربوبية وتستعين بغيرها ليبني لها الصرح ليصعد أبواب السموات، ورغم ذلك يسخر ولكن لما طغت صورة العظمة التي رسمها لنفسه ونادى بهذه السخرية **"يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا"** تتبين لنا الصورة السلطوية التي رسمها فرعون لنفسه في هذا المقام، والتي تظهر من استخدام لغة التعالي كما تتبين لنا من صورة المقارنة التي لجأ إليها فالصرح الذي سيُبنى له قويٌّ وبعيدٌ بالنسبة له كأبواب السموات البعيدة وكأنه بذلك يشبه بينهما وأن هذا الصرح يستمد عظمته وقوته من عظمة وقوة فرعون الزائفة وتبرز هذه الناحية أيضا صورة المتكبر الذي بلغ الغاية في الطغيان وهو يتهم خصمه بالكذب "فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا" فالجانب التصويري في الحوار كان غنيا بالصور والمعاني المتعددة والتي عكست لنا صورة فرعون وكشفت لنا تصرفاته المهزوزة التي حاول بها أن يرسم العظمة والغرور المزيف الذي يستعين به للتفخيم من سلطته والتباهي بها.

وفي مشهد آخر يصور لنا الحوار مواقف متباينة: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ* فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ* فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ* قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ* قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾[٥٦] وهنا نلاحظ عدة جوانب يصورها الحوار ففي قول ضيف إبراهيم **"سَلَامًا"** ترتسم لنا صورة أشخاص يمرون عابرون فقد أرسلهم الله لإهلاك قوم لوط وقد أمرهم الله تعالى بالمرور على إبراهيم عليه السلام فصورة قدومهم عليه رسمه إلقاءهم للسلام أولا بعد أن قاموا بفعل الدخول عليه فنحس بأن الدخول كان سهلا بحث ألقوا عليه السلام أولا فلم يتطلب الأمر أن يعزم عليهم صاحب الدار للدخول وما يتطلبه الدخول من ضيافة مما يوحي بأنهم لا يرغبون ضيافة من صاحب الدار فالمرور عابر وبالمقابل نلمس الصورة المقابلة التي كشفها رد إبراهيم عليه السلام لضيوفه **"سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ"** يتبين أنه لم يعرفهم ويظهر من مقوله خوفه منهم، لكن ذلك لم يمنعه من القيام بكرم الضيافة.

وكرم الضيافة التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام يليق وحال المضيف **"عجل سمين"**: يعطي المشهد دراميا حركة تصاعدية في الحوار فهو عندما وجدهم لا يأكلون زاد خوفه فيسألهم **"قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ"** والسؤال يصور لنا إبراهيم عليه السلام قلقا تنتابه رهابة الموقف وهو يحاول تخفيف حدة التوتر الذي صورته المفردة "فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ" فيبادر بالاستفهام **"أَلَا تَأْكُلُونَ"**؟ فحفاوة

الضيافة هنا تبددت ويظهر إبراهيم عليه السلام هنا شخصاً خائفاً ويصور سؤاله لهم اختزال لعدة أسئلة قد تكون دارت بخاطره عليه السلام وخاطر كل من يتعرض لهكذا موقف فهم مُنكرون، وقد بادروا بالدخول عليه، وليس هنالك ما يدعو لعدم الأكل لأن الحفاوة كانت عظيمة "فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ" فليس في الأمر ما يجعل الضيف يرفض الضيافة فكل مقومات الضيافة قد توفرت له السرعة في التنفيذ من الأهل والكرم في تقديم السمين من العجل رغم أنهم منكرون بالنسبة إليه لكن الخوف الذي كانت تلهج به مفردات الحوار ما بينته الموقف يظهر جليا على السطح "**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**" لكن تصاعد الحوار يعمل على تثبيطه وتبدده فحلت محله البشارة "قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ" فينقلنا هذا المقول إلى دائرة أكثر اتساعا في تصور المشهد بزاوية جديدة حيث أقبلت امرأة إبراهيم عليه السلام وقد تقول بعد أن صكّت وجهها: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" والسؤال من أين أقبلت امرأته؟ ويمكننا القول أنها كانت تراقب الموقف. والسؤال يتبادر لماذا تراقب نعتقد والله أعلم أن حوارا دار بينها وبين إبراهيم الزوج المضياف حين راغ إلى أهله ليأتي بعجل سمين كما عبر القرآن وقد علمت منه أنهم قوم منكرون حتى ولو لم يخبرها فملامح وجهه حينها تحكي فالطبيعي هنا أن يكون قد انتقل إليها ما تجسّد من توتر ولو قليلا وقد ارتسم على وجه زوجها المضياف تجاه هؤلاء القوم المنكرون وهي تعلم موقف قومها الرافضين لدين زوجها فاختزلت عبارة "**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ**" كل ذلك وكأننا نحس في إقبالها أنها كانت تراقب الجماعة من محيط بيئة سكنها الداخلي وإذا بالحوار يصورها وهي تدخل في دائرة بيئة الحدث ويصورها امرأة عجوز تقبل حين تغير الحوار وجذبها المشهد لتشهد كيف تبددت المشاعر من خوف وتوتر ورهبة إلى بشارة غير متوقعة ومفاجأة سادت المشهد فنحس بأن إقبالها قد رسم كل تلك المشاعر وتخبط مشيها وهي تقبل وخطواتها تحكي دهشة ما سمعته أذناها وقولها "**عَجُوزٌ عَقِيمٌ**" إنما كان تعجباً منها. ثم يصور الحوار نقلة أخرى لشخصية إبراهيم إذ نجده يستفسر وقد آمن بعد البشارة التي تلقاها أن هؤلاء القوم المنكرون الذين رفضوا الأكل إنما هم ملائكة "**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ**" فبقوله أيها المرسلون تظهر لنا شخصية النبي الذي يتوقع أمرا ربانيا من رسل نزلوا بداره وهكذا نجد الحوار قد قبض على صورة متكاملة لشخصيات المشهد وأحداثه مما يعزز من قوة الحوار بحسب المشاهد التي توفرت.

الخاتمة

يعتبر الحوار من آليات التواصل البشري، وهو يجري بين اثنين أو أكثر حول موضوع معين وقد كان أداة ووسيلة تم استخدامها في القرآن ليس كعنصر فني للقصة القرآنية التي ورد فيها الحوار؛ بل أداة فسرت لنا الرسالة السماوية والقيم الإنسانية التي يحمل مضامينها الحوار، حيث تعتبر المناظرة والمفاهمة والمجادلة من مرادفات الحوار الذي استخدمه القرآن وفق منهج رباني فقد خاطب الله ملائكته حين خلق الأرض وأرد أن يجعل فيها خليفة، كما حاور إبليس حين رفض أن يسجد لآدم؛ لذا استخدمه القرآن ليقوم بنقل الرسالة التي بلغها الرسل إلى أقوامهم وقد سلكوا معهم طرق شتى في الحوار حيث كانت قوة الحجة هي الفيصل في كسب الحوار سمة الاستمرارية لأن الحوار الناجح هو الذي يستثمر قيمة العقل ويوظفه في إدارة الحوار.

هذا وقد كشف الدراسة عن نفسية المتحاورين عبر الأسلوب المستخدم من قِبل الأطراف المتحاورة، وأشد ما يتميز به الحوار في هذه الدراسة هي أنه وُجِد في بيئة قوم يبنون قيم العبودية على أنها إرث ابائهم، وعليه فالحوار معهم كان يصدر بكل مفاهيمه التي تناولتها الدراسة من جدل ومناظرة لأن هذه المفردات هي التي نهضت بالحوار وجعلته يسلك بها عدة مسالك بحسب طبيعة أطراف الحوار وطبيعة الموضوع الذي كان في أغلبه الدعوة إلى الله. وخاصة مفردة الحجاج الذي كان يتغير تبعا لتعدد متلقيه وطبيعته وحسب المقامات والظروف التي يمر بها وقد كان "الحجاج عرضة للتغيير والتحوير في بنائه واتساقه التي يقوم عليها، وذلك تبعا لتغيير المقام وتغير ظروف المحاج حتى وإن ظل النقاش هو ذاته"[٥٧] ومن هنا وجدنا فن إدارة الحوار الذي جاء على لسان الرسل الذين اتصفوا أولا بالاقتناع بالفكرة التي قاموا بالدعوة إليها وهم يعرفون أن قيم العبودية عند شعوبهم درجات وليست كلها في مرتبة واحدة؛ لذلك استخدموا معهم اللين ولم يمارسوا الضغط عليهم، بل ولم يهددوهم بوعيد الله إلا بعد ما تحول الحوار إلى مكابرة وعناد، كما اتسم حوارهم بالموضوعية واحترام رأي الطرف الآخر في معتقداته رغم السخرية التي قابلوهم بها، كما اتسم بسمات من شأنها أن تأخذ بيد الخصم إلى طريق الحق والرشاد، فلا نجد القرآن يستخدم في حواراته الإقناع بالضغط على المخاطب لضمان التأثير عليه؛ بل يبرهن ويستدل حتى تصبح الحِجة وسيلة للوصول إلى النتيجة بعيدا عن ممارسة الضغط.

والحوار كان يصدر عن علم يتمثل في طُرُق استدلالاته على وجود الخالق؛ إلا أن القوم كانت بهم مكابرة تعلوا على فهم قيم الحوار والانتفاع به فظهر الجدل والحجاج في الحوار تكبرا وطغيانا استنادا على المكانة الاجتماعية التي حظى بها أغلب القوم وقدرتهم على السطوة بالرسل

وأتباعهم. كما تعددت صور إخراج النص الحواري بما يتناسب والشخصية المتحاورة وما يتطلبه المقام وما يكشف عن الشخصية المتحاورة.

ومن النتائج التي خرجت بها الدراسة أن ثمة أمور يجب على أطراف الحوار، أو أحدهم التحلي بها حتى يثمر الحوار ويؤتي ثمرته المرجوة وحتى نستطيع التأثير في الآخرين وإقناعهم بوجهة نظرنا وعليه وجدنا الرسل قد راعت أموراً من شأنها إحداث الأثر ويمكن أن نتخذها أسسا علمية في تأسيس علم يتناول فن الحوار لنستفيد منه في معاملاتنا اليومية والقانونية؛ إذ جمعوا محاسن الأخلاق العقائدية والفكرية والسلوكية، وكانوا لا يساومون في مبادئهم التي أُرسِلوا بها لأن الذي يرغب في إقناع الآخر ويرغب في التأثير فيه قد يجامل ويحابي، وقد ينافق أحياناً، ولا بد أن نحترس من هذا الأمر وألا نخلط بين المجاملة والأدب الاجتماعي المقبول، وبين الصفات الذميمة التي نهى عنها ديننا العظيم، وأن نستخدم العبارات المناسبة التي لا تحمل إساءة من كلا الطرفين.

وعلينا التحلي بالصدق والموضوعية والتجرد من الرغبات الشخصية، واحترام رأي الآخر، ويمكن استخدم لغة الجسد المناسبة التي تدل على صدق ما نقول مع استخدم أسلوباً منطقيًّا في طرح الأفكار حتى لا نحتكر المواقف فمن حق الطرف الآخر أن يسعى لإقناعك مثلما لك الحق في ذلك.

وتوصي الدراسة بأن يتوسع الباحثون في مثل هذه الدراسات لإثراء المكتبة العربية، وأن يمهد السبيل لدراسات أخرى طموح تثري مكتبة الدراسات الأدبية ببحوث ثرة، فبين دفتي كتاب الله كنوز في انتظار من يفصح عنها وينقب فيها، ففيه موضوعات ثرة وغنية بمقومات الحوار الفني كما توصي الدراسة بالتوسع باستخدام رسوم السلالم الحجاجية في الحوار والتي جاءت في ثنايا الكتاب الكريم حين تناولها الحوار القرآني وهي لم تقتصر على جدال الرسل مع أقوامهم بل شملت نماذج أخرى غنية جديرة بالدراسة، إذ ستضفي عليها هذه الدراسة مزيد من النظريات التي تؤسس للعملية الحوارية وتقنياتها في البناء الفني للقصة البشرية التي يجب أن نستوحيها من فيض القصة القرآنية.

الهوامش:

[١] / سورة الزلزلة أية ٧ – ٨.

[٢] / سورة الأعراف أية ٧٠.

[٣] / سورة الحج أية ٤٦.

[٤] / ينظر: استراتيجية الخطاب في أخبار الثقلاء مقاربة تداولية: رسالة تقدمت بها صفية حمادو إلى جامعة مولود معمري – تيزي وزو/ الجزائر –كلية الآداب قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير، صـ ٨٠.

[٥] / ينظر: استراتيجية الإقناع في آيات الرحمة المبدؤة بـ"قل" مقاربة لغوية تداولية، إعداد: أ.م.د. عائشة خضر أحمد هزاع، قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات، جامعة الموصل – العراق، صـ ٣٨٣ – ٣٨٤.

[٦] / ينظر: نفسه، صـ٣٨٥.

[٧] / أنظر: الآيات ٣٠ – ٣٣ سورة البقرة.

[٨] / أنظر: الآيات ١١ – ١٨ سورة الأعراف.

[٩] / ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط١،ج٤، صـ٢١٧–٢١٨، الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرازق، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ١١/٩٨–١٠٠.

[١٠] / الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٥م، صـ١٩.

[١١] / ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة،(د. ت) مادة (حجج)

[١٢] / نفسه، نفس الصفحة مادة (جدل)

[١٣] / سورة الأنعام أية ٨٠.

[١٤] / إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت)، ج٣، صـ٢٥٢/٢٥٣.

[١٥] / ينظر: عبد العالي قادا، الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية) ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، صـ٣٦/٣٨.

[١٦] / أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج١، صـ٤٣٣.

[١٧] / الحسن بن محمد بن الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، حققه وطبعه وراجعه: محمد خليل عتباني، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، كتاب الجيم صـ٩٧.

[١٨] / سورة النحل، أية ١٢٥.

[١٩] / ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، قدم له عبد الله العلايلي، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خلياط، د ط، ١٤٠٧هـ – ١١٩٨٨م، دار الجيل بيروت، دار لسان العرب، بيروت، م١، صـ٤٢٠

[٢٠] / نفسه، صـ٤٢٠

[٢١] / الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، كتاب الجيم صـ٩٧.

[٢٢] / التومي محمد، الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، د ط، د ن، شركة الشهاب الجزائر، صـ ١٤.

[٢٣] / ينظر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا) – دراسة لغوية دلالية – دراسة معدة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: دراسات لغوية نظرية، من إعداد الطالب يوسف عمر لعساكر، السنة الجامعية ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥م، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، (بن يوسف بن خدة)، كلية الآداب واللغات، صـ٢٩.

[٢٤] / ينظر: محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، د ط، د ت، دار المنصوري للنشر – الجزائر، ج١، صـ١٥.

[٢٥] / ينظر: التومي محمد، الجدل في القرآن الكريم، صـ٩.

[٢٦] / محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، د ط، د ت، دار الفكر العربي، صـ ٥ – ٦.

[٢٧] / سورة غافر أية ٥٦.

[٢٨] / ينظر: الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا) – دراسة لغوية دلالية – دراسة معدة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: دراسات لغوية نظرية، من إعداد الطالب يوسف عمر لعساكر، صـ٣٠.

[٢٩] / سورة النحل آية ١٢٥

[٣٠] / سورة الحج آية ٨

[٣١] / سورة آل عمران آية ٦٦

[٣٢] / محمد حسين فضل الله ، الحوار في القرآن الكريم، ج١، صـ ٦٧– ٦٨.

[٣٣] / سورة هود آية ٤٢/٤٣

[٣٤] / سورة الأنبياء الآيات ٥٨ – ٦٧

[٣٥] / سورة طه الآيات ٤٩ – ٥٢.

[٣٦] / سورة طه الآيات ٥٣ – ٥٥.

[٣٧] / إذ كان الاثنين في معية الله يقول تعالى: (قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ) سورة طه آية ٤٦.

[٣٨] / ينظر: عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن، د ط، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، دار الفكر العربي، القاهرة، صـ ١٢٤.

[٣٩] / سورة مريم الآية ٤١ – ٤٦.

[٤٠] / سورة مريم الآية ٤٧

[٤١] / أنظر ثالثاً من هذا المبحث

[٤٢] / سوة طه الأيات ٥٧ – ٦٠.

[٤٣] / سورة طه أية ٧١.

[٤٤] / سورة الأعراف الآيات ٥٩ – ٦٢.

[٤٥] / سورة الأعراف الآيات ٦٥ – ٦٨.

[٤٦] / سورة الأعراف أية ٦٩.

[٤٧] / سورة الأنعام أية ٨٠ – ٨١.

[٤٨] / سورة الأنعام آية ٧٩.

[٤٩] / سورة الإسراء الآيات ٩٠ – ٩٣.

[٥٠] / سورة فصلت أية ٥.

[٥١] / سورة الأعراف الآيات ٥ – ٨.

[٥٢] / ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط٦، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، دار الشروق، بيروت – لبنان، صـ ٢٢٩ – ٢٣٠.

[٥٣] / نفسه، صـ ٢٢٩ – ٢٣٠ – ٢٣٨.

[٥٤] / سورة القصص آية ٧.

[٥٥] / سورة غافر ٣٦ – ٣٧.

[٥٦] / سورة الذاريات ٢٤–٣٢

[٥٧]/ محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٨ العدد ٣ يناير مارس ٢٠٠٠، صـ٦١.

المصادر والمراجع

١/ القرآن الكريم

٢/ استراتيجية الإقناع في آيات الرحمة المبدوءة بـ"قل" مقاربة لغوية تداولية، إعداد: أ.م.د. عائشة خضر أحمد هزاع، قسم اللغة العربية بكلية التربية للبنات، جامعة الموصل – العراق.

٣/ استراتيجية الخطاب في أخبار الثقلاء مقاربة تداولية: رسالة تقدمت بها صفية حمادو إلى جامعة مولود معمري – تيزي وزو/ الجزائر –كلية الآداب قسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير.

٤/ البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، د ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار الفكر العربي، القاهرة.

٥/ تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، د ط، د ت، دار الفكر العربي.

٦/ تفسير القرآن الكريم، ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي البصروي (ت٧٠٣هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت(د.ت)، ج٣.

٧/ الجدل في القرآن خصائصه ودلالاته (جدال بعض الأنبياء مع أقوامهم نموذجا) – دراسة لغوية دلالية – دراسة معدة لنيل شهادة الماجستير في تخصص: دراسات لغوية نظرية، من إعداد الطالب يوسف عمر لعساكر، السنة الجامعية ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥م، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الجزائر، (بن يوسف بن خدة)، كلية الآداب واللغات.

٨/ الجدل في القرآن فعاليته في بناء العقلية الإسلامية، التومي محمد، د ط، د ن، شركة الشهاب الجزائر.

٩/ الحجاج في الخطاب السياسي، عبد العالي قادا، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الهجري الخامس أنموذجا (دراسة تحليلية) ط١، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

١٠/ الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعلمه، القاهرة، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٥م

١١/ الحوار في القرآن قواعده أساليبه معطياته، محمد حسين فضل الله، د ط، د ت، دار المنصوري للنشر – الجزائر، ج١.

١٢/ لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي (ت ٧١١هـ) ، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

١٣/ المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الحسن بن محمد بن الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ)، حققه وطبعه وراجعه: محمد خليل عتياني، ط١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان.

١٤/ مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد ٢٨ العدد ٣ يناير مارس ٢٠٠٠.

١٥/ مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، أحمد بن فارس، ط٢، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج١.